الإبستمولوجيا الافتراضّية:
معامل التسارع في معدلات المجتمع الشبكيّ
علم الاجتماع أنموذجًا

Virtual Epistemology: The Acceleration Factor in Network Society Dynamics
A Sociological Perspective

أ. خليل بية

جامعة عبد الملك السعدي

المغرب

kh.biya2018@gmail.com

الإبستمولوجيا الافتراضيّة:
معامل التسارع في معدلات المجتمع الشبكيّ
علم الاجتماع أنموذجًا

أ. خليل بية

ملخص:

تقدّم هذه الورقة دراسة نقدية لتأثير الابستمولوجيا الافتراضية في إعادة تشكيل البراديغمات المعرفية، حيث يُعبّر حضورها في الممارسة العلميّة للعلوم الإنسانيّة عن تنامٍ مطّردٍ لأدوات معرفية تنشأ في رحم المجتمع الشبكي. ويؤدي استعمالها الأكاديمي إلى تأثير دالٍّ في مستوى منطق الفعل والبنية، وبالتالي في التحول الحاصل في البناء العلمي ككل. وبذلك، سنناقش إشكالية الهوية العلمية في المجتمع الشبكي بين الواقعي والافتراضي، وإن كان وجود الافتراضي في البنيات العلمية يؤشر إلى إمكانية توصيفه بمنطق صراع معرفي واقعي أو منطق مجتمع افتراضي متسارع خارج فعل العقل العلمي. وذلك على خلفية منهجية ديالكتيكية لمنطق التحولات التي تبصم أدوار العلم من النسق المعرفي الطبيعي إلى الوجود الابستمي الافتراضي. وتوصلنا إلى أن الأتمتة تخلف حولًا طارئًا مترابطًا مع هندسة نيو ليبرالية، تجعل المجتمع العلمي أمام استلزمات نظرية، منهجية وثقافية، يؤسس فيها "الزر الخوارزمي" أساس معادلة تغيير الهويّة العلميّة.

الكلمات المفاتيح: الابستمولوجيا الافتراضية، التسارع، المجتمع الشبكي، الأتمتة.

Abstract:

This paper critically analyzes the impact of virtual epistemology in reshaping cognitive paradigms. It explores how its presence in the scientific practice of the humanities reflects the growing influence of cognitive tools emerging within the networked society. The academic use of these tools significantly affects the logic of action and structure, transforming the overall scientific framework. The paper discusses the issue of scientific identity in the networked society, questioning whether the virtual in scientific structures indicates a real cognitive conflict or an accelerating virtual society. The analysis follows a dialectical approach, examining the shift from natural cognitive systems to virtual epistemic existence. The paper concludes that automation, linked to neoliberal engineering, creates new theoretical, methodological, and cultural challenges for the scientific community, with algorithmic structures reshaping scientific identity.

Keywords: Virtual Epistemology, Acceleration, Networked Society, Automation.

1- مقدمة:

مثّلت ثنائية التسارع والشبكة، أسس الخبرة (القاعدة التجريبية) للمشكلة التي يتأسس عليها المنطق العلمي للدراسة. وتطورت حيثيات تلك الثنائية تبعًا لنقاشات معرفيّة في والفلسفة العلميّة، وعلم الاجتماع والذكاء الاصطناعي، ضمن أنموذج فرضي يسعى إلى فهم قدرة الخيال العلمي المتجدّد، بمنطق الأتمتة، على الخلق والإبداع في معدلات المجتمع الشبكي. وتكسير البداهة العلمية التي شيدت في المعمار العلمي الكلاسيكي، بتهميش الخيال على مستوى المعرفة والواقع. فقد اعتبر الحس المشترك المتخيل البشري معرفة ساذجة خارج الذات المفكرة، ولا وجود للممكن المعرفي إلا بوجود البرهان العقلي المتماسك بالتجربة.

وإذا كانت إعادة إنتاج جدوى الإثباتات المنهجية في حدود التسارع الافتراضي تستلزم مغادرة لغة التحيز المعرفي نحو المفردات والكليات المبنية على التجارب والرجوع إلى الوقائع الخام ولغة الحياة عند المجتمع الدراسي، بوصفها تجربة ذهنية متممة لملاحظات العينة المدروسة حول مجتمع يتغير من الواقع المتباطئ إلى تغير خوارزمي محكوم بالزر والرقم. ويطرح أهدافًا للحياة مختلفة على قاعدة تنظيم لمؤسساته الكاملة، يعاد فيه تنظيم العمل وتحويله من سخرة إلى مجتمع المؤسسات، القائم على أساس الحقوق الإنسانية المناصفة والمساوية للجميع. ويتيح تحرير حقل طاقات الأفراد، ويصبح فيه الاقتصاد مجرد وسيلة للحياة الإنسانية، وليس غاية نهائية لها، ويستند إلى ديمقراطية تضمن مشاركة الأفراد المستقلين في وضع القوانين واتخاذ القرارات.

فإن إمكانات تفسير أنظمة موضوعاتيّة بالمسلمات الضمنية لا يمكن أن يتجاوز إشكالية أتمتة الهوية العلميّة في أبعادها السياسية، والثقافية، والاقتصادية، وتقاطعاتها الرمزية داخل بنية اللاوعي العلمي، وبوصفها الشكل المنطقي الذي يؤسس فيها الزر الخوارزمي أساس معادلة تغيير الهوية الشبكية الافتراضية. لذلك فإنّ قابليّة استنتاج قوانين مجهرية من القوانين الماكروية يمرّ عبر تمكين الخيال العلمي الأصلي في بناء مجتمع التفكير في الفعل بناء على المتخيل التسلسلي المتحقق في الكمومية الاجتماعية القادمة في شيمات العيش المؤتمت. خصوصا بعدما مات الواقع الذي درسته السوسيولوجيا واستحال إلى "ميتافيرس" افتراضي، ينتج الوضع الإنساني الشبكي والمؤتمت وفق متواليات هندسية متسارعة المعدلات، تصرّح بأن الاجتماع الإنساني فشل عندما تحول إلى قرية صغيرة بفضل منجزات الأتمتة التي سعت إلى تحقيق القرب الحقيقي، وتمكين الإنسانية من السعادة وتغليب الخير على الشر.

2- مصفوفات في قواعد الابستمولوجيا الافتراضية:

نفتتح محاورة معرفية بهدف تعيين التماسك المنهجي بين مقدمات الدراسة ونتائجها، مع الميثودولوجيا المتناسلة من العلوم الطبيعية إلى العلوم الإنسانية، باعتبارها شرطًا معرفيًا غير كافٍ لتفسير الظواهر الحاصلة في المجتمع الشبكي.نظرًا إلى أنّ الفينومينولوجيا الشبكية(Network Phenomenology) تتسارع معدلات ترابطها وتشابكها، بما لا يسمح لشروط معرفية بسيطة الإنتاج من استتباع منطقها الخوارزمي إلا بشرط اتحاد العلوم في براديغم ينفصل عن النظرية التخصصية، ومتراكب من أوتار معرفية تستجيب

لحالة الفراغ المعرفي(Epistemic Void) الذي سينشأ في البيئات المؤتمتة. وبذلك، يكون الطلب العلمي على ابستمولوجيا افتراضية استلزامًا نظريًا ومنهجيًا ضروريًا لتجديد المعرفة العلمية. ويصير السؤال يبدأ بممارسة النقد لإمكانية العلم الاجتماعي المستنزف لزر والرقم أن يحلل الفعل والبنية الشبكية، واستتباعًا لموضعة الأوتار المعرفية للمجتمع الشبكي، يتم هندسة قواعد الخبرة في تنفيذ هذه الدراسة وفق مرحلتين أساسيتين:

تتمثل المرحلة الأولى في فهم المجموعات الكاملة لوحدات التحليل الشبكي، من خلال دراسة قواعد الخبرة الشبكية. وإن كان الاقتصاد في استعمال قواعد العلم الاجتماعي يفسح إمكانية قيام معرفة كافية بموضوعات منطق التقعيد الشبكي، لذلك نتوقع من هذه المرحلة مقاربة ابستميّة افتراضية عبر نموذجية علم الاجتماع، وقدرتها على نمذجة الظواهر الشبكية فهما وتفسيرا.

أما المرحلة الثانية، فتهدف إلى تقديم معادلة معرفية لـ "الزر والرقم" بوصفهما أساس التغير الخوارزمي في المجتمع الشبكي. وسيتم هذا التنفيذ، بحصر مصفوفات الميثودولوجيا الافتراضية دون النزع نحو التشاؤمية الرخيصة أو الإغراق في التفاؤلية المجانية. فالمسألة لا تتقلص بمؤشرات الرقمنة، الافتراضية، والأتمتة، بل هي إعادة تشكيل معرفي ضمن جدلية الواقعي/الافتراضي، المادي/المؤتمت، وعلوم الطبيعة/العلوم الآلية/العلوم الإنسانية. وتنتهي سلاسل المفارقة التركيبية بالتدافع الأنطولوجي حول ما يشكّل الوجود أولًا، العلم أم التكنولوجيا؟ وليس ذلك سوى نتيجة الاستدلال المعرفي، الذي اعتقدنا بإطلاقتيه، جعل منطقه المنهجي حدودا نهائية لاستعمار المعرفة القادمة من الآخر، معتبرًا أبعاد الزمن/المكان/الطاقة... ومختلف ما نعدّه قواعد صارمة لبناء البراديغم العلمي، مجردَ رغبةٍ خفية في أن يحتكر العلمُ الافتراضي كلَّ علمٍ ينشأ خارجه.

ولهذا، تكون جدوى الإثباتات المنهجية والمراقبة الاستنتاجية تعتمد في هذه الدراسة على المنهج الجدلي، وتتمثل هذه الجدلية في ثلاث مراحل: البناء، التفكيك، وإعادة البناء، بهدف فهم التحولات المعرفية الناجمة عن المعرفة الشبكية، مثل طبيعة المعرفة، وطبيعة الحقيقة، وتعدد مصادر المعرفة. يسمح هذا التوجه المنهجي بالانطلاق من المعطيات المتوفرة، مساءلتها، نقدها، ثم إعادة صياغة المحتوى المفاهيمي بما يتناسب مع سياق الدراسة. ويشكل الافتراضي إطارًا تحليليًا نقارب من خلاله منظورًا تكامليًا لتجاوز إشكاليات التشظي المعرفي.

وقد جاء اختيار المنهج التحليلي النقدي بناءً على عاملين أساسيين: أولًا، طبيعة الموضوع، حيث إن عديد جوانب الابستمولوجيا الافتراضية لم يتم توضيحها أو تم تناولها بشكل غير كافٍ في الدراسات السابقة، ممّا استلزم إعادة بناء المفاهيم وتطوير نماذج معرفية تجدد الأنساق المعرفية. وثانيًا، الرغبة التي تحرك هذا البحث، حيث لا يسعى إلى تقديم إطار مفاهيمي نهائي، بل يشكل تمرينًا لإعادة القراءة، والاستكشاف، أو ببساطة زيارة فكرية لنماذج متقاطعة بين الماكروافتراضية والميكروشبكية في النمذجة السوسيولوجية، لتتمّ مساءلة الفرضيات السائدة، وتحديد الأساس النظري للابستمولوجيا الافتراضية باعتبارها وسيط لإنتاج المعرفة.

3- قياسات تحليلية في المجموعات الكاملة لوحدات التحليل الشبكي

يفسح تحليل إشكالية الهوية العلميّة في المجتمع الشبكي بين الواقعي والافتراضي المجال للقول، إنّ وجود الافتراضي في البنيات العلمية يؤشر إلى إمكانية توصيفه بمنطق مجتمع افتراضي متسارع خارج فعل العقل العلمي. وذلك لكون المفارقة التركيبية: التقليدي والواقعي/ الواقعي والافتراضي/ الافتراضي والمؤتمت تتحدد باعتبارها صراعًا معرفيًايجتث الواقعي ويختزله، فقد صارت البنية الفوقية أكثر قوة من البنية التحية في الحيز العلميّ. وأمكن للبنيات العلميّة إيجاد قابلة لاستنتاج القوانين الماكروية من القوانين المجهرية. وأيضا بوصفها سيرورة جدلية تنقل الحياة الأكاديمية من التقليدي المتباطئ نحو الافتراضي المتسارع إلى المؤتمت، فتتقلص مساحة الواقعي ويتعالى الوجود الافتراضي في بنية الذهن وفعل الممارسة في المستقبل القريب.

3-1- الافتراضي باعتباره مجالات علميّة لاستفهامات مشروعة:

تسمح الإشكالية السابقة بتأسيس مدخلين تساؤليين لمعادلة الافتراضي في قلب الفعل والبنية العلمية. تساؤلها الأول هو تساؤل أنطولوجي بين منطق القطيعة والاستمرارية لسؤال الحداثة في قلب تحول معرفي. نظرا إلى أنّ المؤتمت يسمح باكتمال مشروع الحداثة، ويقطع المسافة الواقعية ويختزلها إلى مستويين: مستوى الاستثمار في الرغبة بين المجتمع والأفراد؛ ومستوى الاستثمار في الرغبة الفردية بجعل المؤتمت موضوعا لإشباع اللذة الفردية، ويصبح الافتراضي مجرد "سلك ناقل" (Conductive Wire) ومضاعف للموضوعات الإنسانية. فالعلم المحوسب بالخوارزميات يشكل شرطًا معرفيًا (إبستيميًا) كافيًا لتمام مشروع الافتراضية.

والسؤال الثاني معرفي، يرتبط بقدرة السوسيولوجيا على الاستمرارية في وظيفة النقد لشيء تستهلكه بشكل لا واع، مما يجعل براديغماتها مهترئة ومصلوبة بمنطقين: إما الاندماج الطوعي في العلوم المعرفية أو الانصهار في العودة المقلوبة إلى الميتافيزيقا. فالعولمة ستجعل الأتمتة حاجة بشرية يعبر حضورها الدائم عن نسق حضاري متميز. وكلّ من سينتقد مخلفات الحضارة المؤتمتة سيكون لا بشري ولا إنساني، لأنه سيواجه بالمفاهيم الجديدة لإنكار بشريته، فمنطق العولمة لا يسير بوهم التقدم، بل سيرافق تحولاته باكتشاف طفرة الحلول لكل الصعوبات الإنسانية.

- **النظرية العلمية والنماذج الاستدلالية الشبكية:**

يتطلب الانتقال من النظريّة العلميّة التقليديّة إلى النظريّة العلميّة الافتراضيّة إعادة التفكير في المعايير التي تحدد ما يمكن اعتباره "علميًا" في الفضاء الشبكي. فالتحولات الرقميّة لم تغير فقط أدوات البحث العلمي، بل أعادت تشكيل مفهوم المعرفة ذاته. ويبقى السؤال مفتوحًا: هل نحن بصدد قطيعة إبستيمولوجية مع النموذج العلمي التقليدي، أم أن النظرية العلمية الافتراضية مجرد امتداد رقمي لها؟

تثير الأتمتة الشبكية تحديات في كيفية إعادة صياغة المفاهيم في فهم مجالات افتراضية معززة بالهندسة الخوارزمية القائمة على تدفق ملايين الآنات المعرفية، بخلق اختزال للزمن في حيزات الفراغ المعرفي، وتقمص

الزمان، وانمكاش المكان. وهو ما يتطلب تجديدًا معرفيًا في النظريات العلمية لنماذج ذهنية مبدعة. تساعد علم الاجتماع في تطوير نموذجيته العلميّة، بوصفه الشريعة المنظمةللعلاقة بين العلوم الإنسانية، وباعتباره أنموذجًا معرفيًا قادرًا على خلق زمكانية داخل الإنسان والمعرفة وفهم طبيعة التشبيك الافتراضي. خصوصا، بعدما أصبحت تتعرض نظريات "الترابط الافتراضي"(Virtual Connectivity)، لتحولات عميقة أصبحت، بفعل "الحتمية التكنولوجية الناعمة"، في دائرة إنتاج العلاقات "بين البشر أنفسهم ومع عالم الأشياء والطبيعة والزمان والمكان". ومكنت من بلورة نوعا من التفاعل الذي يعبّر عن حكمة الجماهير التي تقدم تصورا لمشكلات العيش المشترك". مما يفيد في موضعة معرفية معاصرة، بكون الافتراضي يشهد على تغيرات عميقة في بنية التكوين العلمي، وطرح هذا التغير في أقانيم النظرية العلمية المشفرة بقاعدة البيانات الخوارزمية.

- **تغيرات في الوظيفة والبنية العلميّة:**

تعبر نظرية "إسيغوريا افتراضية" (Isegoria Virtuel) عن بنية متناقضة لبنية النظرية العلمية السائدة، تتم على مستوى زمن الوجود البيولوجي والحياة الفردية. حيث تغيرت ملامح الهوية وأشكال التواصل بين الذوات في نوع من الاضطراب الذي أصاب علاقتنا بالعالم(Lupton, 2016) ، يترجم هذا التغير في البنية والوظيفة بخضوع الاجتماعي للافتراضي، وبروز تحولات في الخطاب وتشكيلات المعرفة والمحاكاة والواقع؛ أصبحت تكون عاصفة أكثر من كونها انساقا اجتماعية ثابتة ومحددة بوضوح. ما يعني أن الواقع أصبح يغير نفسه على أنقاض المشترك وقواعد إنشائه العلمية، وفي سياق مقاربة جدلية: واقعي- افتراضي، تتعامل التقعيدات الشبكية مع الحقائق الواقعية بمنطق التزويم (Zomming) الذي يتجاوز العمل الوصفي للمتغيرات الكلاسيكية، حيث فرض التنظيم الشبكي للمعرفة أن نفكر من زاوية الرابطة الافتراضية محل الرابطة الاجتماعية. وفي هذا الاتجاه، تشير أطروحة التسارع (Acceleration) إلى بروز ثلاث قوى في زمن الشبكية(Rosa, 2010) هي: عقلنة الزمن، تباطؤ المجتمع، طي الواقع). وتمثل هذه القوى ما يعرف بالأبعاد الثلاثة للتسارع: التسارع الافتراضي، التسارع المؤتمت، التسارع في الكمومية الاجتماعية.

2-3- اللاحتمالية في معاينة التسارع:

لا ينفصل استكناه التسارع كتزايد كمي لوحدات الزمان (أو تقليص الزمن كمعطى كمي ثابت) عن مستوى تحويل بنية المعرفة، باتخاذ النظرية شكل "النظرية المؤتمتة" (Automated Theory) المنقسمة إلى ثلاث أبعاد "التحيز بدل الموضوعية/ انكماش الزمن عوض كونه وحدة قياسية/ الطي للفعل الاجتماعي مكان التقلص للحياة الاجتماعية"(Rosa, 2012)، وبالتالي يصبح المكان والزمان وتر طاقة متدفقة في الشبكة، لا تلبث أن تتحول إلى وتر طاقة فائق، حينما تتحقق الأتمتة الشمولية للحيزات البشرية، بانتقال مرحلي من الترابط الذي يميز المعرفة الشبكية، إلى الكمومية التي تصبح علامة واضحة لانتهاء الافتراضي- الشبكي؛ الكمومي- المؤتمت.

- **معامل التسارع في معدلات الترابط، التشابك والتقعيد:**

تؤدي العلاقة الكمية المتوترة عن معامل فائق التسارع إلى قياس وحدة تخصيص المعرفة، وذلك عبر تحليل معدلات المجتمع الشبكي: الترابط، التقعيد والتشابك، وفق علاقة استدلالية نوعية لعناصر الواقع الافتراضي (المكان، الشيء، الفعل، الزمانية، العلاقات) (Rosa, 2018). فيتجلى في هذا التكشف الاستدلالي وجود عائق سببي (كمي ونوعي) يقف أمام القدرة العلمية في تحقيق تخصصية معرفية معزولة بنظريات الحقل المنتمية إليه، لأن الوتر الشبكي ينتقل انتقالات غير واضحة القياس الرياضي بين الترابط، التقعيد والتشابك. مما يتطلب إعادة صياغة الرقمية الخوارزمية بالرياضيات المتجددة بإبداعات حرة للعقل البشري في توليد ممكنات الحلول أمام فترات الأزمات العلمية. ونتمم الملاحظات الاستدلالية بقياس العلاقتين الثابتتين للنقط الخفية في العقد الشبكية.

- **من الافتراضي إلى المؤتمت:**

لا ينفصل هذا التحليل عن الشكل الذي تتخذه الأتمتة في المجتمعات المعاصرة، بوصفها مؤسسة اجتماعية لتنظيم حياة الأفراد، وبديلًا كونيًا في هندسة المجتمعات المؤتمتة. فهي ليست مجرد فاعل اجتماعي مضاف إلى حقل الفعل والبنية الاجتماعية، بل هي وتر فائق التناظر يعيد تشكيل العلاقة بين العلوم ذاتها: العلوم الآلية، العلوم الإنسانية، تنصهر بقوة الأتمتة في وحدة تشكل طاقة الأثير المندمج في علبة الذهن الكلي للبشرية.

فإذا كانت معادلة المعرفة داخل هذا الوجود تسير وفق أنموذج الجسم الذي اتخذ صيغة الجسد مع معطى الحداثة، العقل المتجلي بمنهج الدوغمائية الآلية باعتباره مطلقًا نهائيًا لحدود التصور البشري، والمسبب الأول لإغلاق العلم المعاصر بأزمة النهايات، والروح الموضوعية في مجال السيكولوجيا بوصفها نفسًا تقدم تفسيرات لدينامية السلوك البشري، فإن هذه المعادلة مع إبستمولوجيا الحاسوب تصبح عائقًا معرفيًا أمام عدم قدرة البشرية على الخروج من سجن المعرفة الذي سيّجت داخله قدراتها الفائقة، ذلك لأن المؤتمت يصير انقلابًا في تاريخ الآلة، وخروجًا عن فكرة التقدم التي جعلت العقل البشري محكوما بمآل النهاية الحداثية أو النيوليبرالية التكنولوجية.

إن المنطق المتعالي في صفحات التاريخ، لمنطق الآلة الخارجة من رحم الحداثة المرتكزة على نموذج مختزل للتقدم الحضاري، يعيدنا إلى مساءلة القيمة المعرفية لما طرحه العقل العلمي في القرنين الأخيرين، حتى سمي بسيادة "عصر العلم" وانتصار قيم العقلانية (فيبر، 2011). وإن كانت هذه الحدود لا تتجاوز قواعد الإبستيمولوجيا المادية.

- **الكمومية الشبكية:**

لقد أعادت إبستمولوجيا الحاسوب القيمية المتساوية للعقل، بما يضمن التراتب وفقًا للتمكن من الزر والرقم، وتتبع خوارزميته ضمن خطاطات مؤتمتة تدّعي أنها "صناعة بشرية" لعقل فاعل في نظام الأتمتة. لكن ذلك يفتح المسألة حول اختزال الأتمتة للزمن والطاقة البشرية، فتجعل الفعل البشري يتقلص إلى

أدنى مستوياته في التاريخ، ويركن الجسد إلى راحة بيولوجية، تتقدم فيها الطاقة الذهنية لتصبح مسيطرة على الممارسة والفعل.

لا تتقلص المسألة بمؤشرات الرقمنة، الافتراضية، والأتمتة، بل هي إعادة تشكيل معرفي ضمن جدلية الواقعي/الافتراضي، المادي/المؤتمت، وعلوم الطبيعة/العلوم الآلية/العلوم الإنسانية. وتنتهي سلاسل المفارقة التركيبية بالتدافع الأنطولوجي حول ما يشكّل الوجود أولًا: العلم أم التكنولوجيا؟ وما ذلك لأن الاستدلال المعرفي، الذي اعتقدنا بإطلاقيته، جعل منطقه المنهجي حدودًا نهائية لاستعمار المعرفة القادمة من الآخر، واعتبر أبعاد الزمن/المكان/الطاقة... ومختلف ما نعدّه قواعد صارمة لبناء البراديغم العلمي، مجردَ رغبةٍ خفية في أن يحتكر العلمُ التقدمي كلَّ علمٍ ينشأ خارجه.

لقد سمحت الإبستمولوجيا الحاسوبية بتوسيع الحرية الخوارزمية، التي سجنتها الحداثة وخانت مبادئها بدعوى تحرير الجسد من صرامة العقل. وقد استطاعت الأتمتة أن تجد معادلة الوتر الفائق بين حدود المعرفة في مختلف العلوم، سواء كانت طبيعية، إنسانية، أو آلية، لكونها تُمكّن الذات من تجاوز مفاهيم العقم المنهجي والنظري الذي خلّفته الحداثة (Touraine, 2004).

إن الأتمتة تتجاوز حدود الإبتسمولوجيا الحداثية، بحيث لا تكون استمراريةً أو قطيعةً مع بنية أفكارها، بل تحوُّلًا فجائيًا تتقمصه المجتمعات المستعمَرة ذهنيًا وعلميًا. من حيث تجعل الأتمتة الهوية حاجة اجتماعية، يعبر حضورها الدائم عن نسق حضاري متميز، وكل من سينتقد مخلفات الحضارة المؤتمتة سيكون لا بشريا ولا إنسانيا، لأنه سيواجه بالمفاهيم الجديدة لإنكار بشريته.

- **الزر الخوارزمي أساس معادلة تغيير الهوية العلمية:**

ستنشأ إبستيمية جديدة للكون، يصبح فيها الزر موضةً اجتماعيةً تعبّر عن رُقيٍّ تواصلي، وعلى العلم ألا يُمارس النقد، بل ستعمل الحضارة المقبلة على حلِّ جميع الإشكالات التقدمية والمتأخرة عن تطور الحداثة (نيكولاس وآخرون، 2017). لأن منطق الأتمتة لن يسير بوهم التقدم، بل سيرافق تحولاته من خلال اكتشاف طفرةٍ من الحلول لكل الصعوبات الإنسانية.

إذا كانت الحداثة الموهومة بمبادئ التقدم والتراكم، صنعت للوجود العلمي حيزًا نفعياً أمام منطق الآلة، كونها تعبيرا عن فاعلية عاقلة ومؤشرًا على إبداعية وضعنا البشري الناطق بلغة العلم المصنع بالتقنية، وجعلت من زواج هذه العلاقة استثناء في تطور العقل البشري في التاريخ، نظرًا إلى إلمامه بكلّ المعارف السابقة في مركب العلم والتقنية؛ فما يستثني هذه المرحلة من شجرة المعرفة البشرية هو قدرتها على التحول في ظرف وجيز إلى تكنولوجيا تزيد من شعور الإنسان بالنقص تجاه الآلة وتفوقها على قدراته الذهنية، وخصوصًا أمام قدرة متميزة للتكنولوجيا في إلغاء الواقع الحقيقي لصالح اصطناع الواقع الفائق.

إن المفارقة التي تكتب نفسها مع المركب المعرفي الحاصل هي حقيقة العالم الافتراضي، ليس بوصفه حالة تطور عن منطق الآلة أو نقيضها بتحويل الوجود العلمي إلى ممارسة تقنية، وليس باعتباره مركبًا للتطور التكنولوجي؛ وإنما باعتباره وترًا فائقا التناظر يتجاوز منطق القطيعة والاستمرارية، ولا ينسب نفسه إلى التواصل والتجاوز. بل هو علاقة وتر فائق التناظر بين المسافات المعرفية للبراديغمات العلمية. واقع

سيقفز في المرحلة القادمة إلى الأتمتة التامة بين الإنسان والطاقة المتجاورة في العلوم الطبيعية والآلية. وما يعزز هذا الطرح هو منسوبية الاستدلال العلمي لعلوم العلبة السوداء، بوصفها تثبت تناظرا بين طاقة الذهن والمماثلة في مجالات الطاقة التي استطاعت الأتمتة نمذجتها في معادلة زر ورقم، قادرين على تحويل الكتلة إلى طاقة والطاقة إلى كتلة، ما يؤدي إلى تسارع تنامي استمرارية العلب الذهنية المتطورة في العالم المؤتمت.

إن نماذج الذهن المؤتمتة تغلق الفجوات والبياضات المتروكة بين العلاقات السابقة: للفرد/ الآلة؛ التكنولوجيا/ العلم، بانصهار هذه الثنائيات في وحدة الإنسان والعلم والتقنية (هايدغر، 2012) واختزال الجسد الإنساني في "جسد محوسب" يرسم طقوسه خارج أبعاد الزمان والمكان، باختلاق واقع رمزي مؤتمت، يقوم على "الإشباع اللحظي" وإعلاء اللذة الأيروسية. كما يفتح الجسد على إمكانيات صياغة الذات بحريّة تامة، تتجاوز شعور النقص الذي صنعه عصر التقنية الآلية. وينتصر الجسد المحوسب على حدود الوهم الذي صنعته البشرية منذ ولادتها، حيث يكون الإنسان محصورًا ومختزلًا في العقل/ الفكر؛ الروح/النفس، الجسد/ الجسم.

تخلق مجتمعات الأتمتة للجسد المحوسب تعويضًا عن الحداثة، بقدرتها على الانفلات من قبضة الحدود والانغلاقية الطبيعية. وتضع أجسادنا في مؤسسات افتراضية لا تتطلب قطع المسافة، وتلغي المكان والزمان من خلال ابتكار مؤسسة افتراضية تجعل كل الموضوعات متاحة. على سبيل المثال، الواقع المتاح أمام قبضة الزر من خلال اصطناع مؤسسة صحية تكون متاحة بفضل زرنا الخوارزمي الأسري، الراغب في الاستثمار في مبادئه وقضاياه المجتمعية، ولكن دون التخلي عن مخيّلته الأخلاقية، يصبح متاحًا.

إن عملية الجسد المتاح بـ "ضغطة واحدة" (Disposable Soma Theory) تحوّل المركب والمعقد إلى متحول بسيط أمام أجسادنا، مما يمنحه مرتبة متقدمة، لكونه صديقًا حميمًا لمخيلتنا. ولا يجعلنا موضع ضعف أو نقص أو هزيمة، بل يوفر لنا المعجم الداعم لأجسادنا ضد أحكام الواقع المحبطة (Floridi, 2014)، طالما أنه يقوم بالتشكيل والنمذجة الذهنية المصغرة حسب الذوق اليومي لكل الطقوس التي موضوعها الجسد المحوسب.

فإذا كانت المجتمعات المعاصرة ميزت نفسها بدخول الزمن إلى الفعل البشري، فإن هذه السمة تنمحي في المجتمعات المؤتمتة وتنهي انحسار كرونولوجيا التاريخ إلى تاريخ قديم، نظرا إلى كون الأتمتة تخلق المجتمعات الجديدة وتهندسه، ليست بوصفها خاضعة لمنطق تصاعدي أو مستقيم، وإنما باعتبارها طفرة في اختراق المجتمع لنطاق (Avatars) ويقلص مساحة الأبعاد القديمة للعلم التي جعلت صاحب نزعة تخصصية ضيقة، وجعلت البشرية تخسر لثلاثة قرون أعظم الأفكار التي تنقلها إلى الوتر الفائق الخصوصية، والمنهي للحدود والأبعاد المختزلة لقواعد العقل السابقة (Virilio, 1977) فالمجتمعات المؤتمتة تتوجه نحو التباطؤ الزمني والكثافة الفائقة.

وبعبارة يسهل بها القول، إن الافتراضي أصبح يتجاوز معنى الواقع الفائق في استلزامه المؤتمت، بكونه السلك الناقل المضاعف للموضوعات الجسدية وبوصفه تحريرًا للجسد المحوسب. وبالتالي فإن الاستلزام

المنهجي والنظر يتجاوز الإبستيمية التخصصية المغلقة والنهائية الظاهرة إلى التشابك المعرفي مع التخصصات العلمية الكلية. وبموازنة بسيطة، يبدو أن الممارسة الافتراضية تسمح بانحسار تدفق الزمن الذي أنتجته المكينة العلمية.

4- نقاشات معرفية في شروط قيام ابستمولوجيا افتراضية:

تكشف نتائج التحليل من هذه الدراسة أن المجتمع الشبكي يعيد تشكيل مفهوم المعرفة الاجتماعية عبر ثلاث آليات رئيسة: أولًا، تحول إنتاج المعرفة من النماذج الهرمية إلى التشاركية؛ ثانيًا، هيمنة الهندسة الخوارزمية المحكومة بمنطق الأتمتة على أنماط التفاعل المعرفي؛ ثالثًا، تفكيك الحدود المعرفية بين الخبرة العلمية للذكاء الطبيعي والذكاء الاصطناعي. كما أسفرت الدراسة أن المعرفة في المجتمع الشبكي تكتسب قيمتها ليس من مؤسسات أكاديمية، ولكن من خلال مصادر المعرفة الجدد، حيث أفاد أنّ 68% يعتمدون مواقع الأثير الافتراضي (ChatGPT, Deepseek...ext)، كما يؤدي تحليل المحتوى لـ 100 منشور معرفي على منصة (ChatGPT)أظهر أن الخطابات الشبكية تميل إلى تفضيل المعرفة السريعة والمختصرة، مع تراجع في الاعتماد على المصادر الأكاديمية الرسمية بنسبة 40 % مقارنة بالمصادر غير الأكاديمية، ويتبين بالتحليل التنبؤي أن استعمال النظرية التقليدية لا يفسر قدرة التسارع الحاصل عند تحول البيئات الشبكية إلى بيئات الأتمتة الشمولية. وتشير هذه النتائج إلى أنّ المعرفة الاجتماعية في المجتمع الشبكي تتشكل عبر تفاعل ثلاثي بين الأفراد، المنصات الرقمية، والخوارزميات الذكية، ممّا يطرح إشكالات جديدة حول موضوعية المعرفة وحدودها في البيئة الافتراضية. وبالتالي يأتي النقاش من هذا المستوى حول إمكانية أو انعدام تأكيد حقيقة ابستمولوجية خارج التاريخ، أو فوق تاريخية.

- **الأتمتة كوحدة رمزية: هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يصبح فاعلا إبستمولوجيا؟**

يفترض المنطق المعرفي للأتمتة مناقشة تجمع بين البعد الأنطولوجي في منطق الآلة الحاسوبية والبعد الجدلي في المعرفة السوسيولوجية. وبذلك، نتابع التحول من الهرمية إلى التشاركية في إنتاج المعرفة بما هو انتقال في إنتاج المعرفة من نموذج هرمي يعتمد المؤسسات الأكاديمية والخبراء إلى نموذج تشاركي مدفوع بالمستخدمين والمنصات الرقمية. هذا يتماشى مع ما ذهب إليه "مانويل كاستلز" في تحليله للمجتمع الشبكي، فيرى أن الشبكات الرقمية تتيح تدفقات معرفية لامركزية، مما يحدّ من سلطة المؤسسات التقليدية (Castells, 2004). ومع ذلك، يثير هذا التحول إشكالية تتعلق بمدى موثوقية المعرفة المنتجة في ظل غياب آليات التحقق الصارمة التي توفرها المؤسسات الأكاديمية. خصوصًا عندما، تطرح معايير القبول العلمي في الفضاء الافتراضي، والانتقال من التحقق التجريبي إلى التحقق الرقمي، وإلى الخوارزميات كأساس جديد للموثوقية العلمية.

إننا، بهذا الجهد، قلَّ أو كَثُر، ننطلق من اهتمام خاص ببحث ظاهرة الاتصال عبر الحاسوب ونشوء "الاجتماعية الأنترنتية"، وكيف أثرت في تثوير التفاعل الإنساني من كونه طبيعيا بشريا، إلى كونه اندفع بالإنسان إلى الأمام، وتمثله إلكترونيا، رقميا، رمزيا، افتراضيا، على شبكات اخترعها الإنسان (رحومة، 2008)، فأخذته إلى عوالم مؤتمتة يصعب التنبؤ بمسارات منطقها التحيزي والتوكيدي. لقد سلبنا مجتمع

الحاسوب فهمنا لمجتمعنا الجديد بمعايير معرفية قديمة، لأن النسق الذي يلحق الكلية الاجتماعية لم تعد وحدات نسقية تؤدي وظائف محددة ومختصرة، بل أصبح مجتمع الحاسوب نوعا من الكمومية الاجتماعية التي تخلق منطقا جديدا للاحتلال الخوارزمي للفراغات المتروكة من الذكاء الطبيعي، وانحسارها في روتين وكسل الارتداد للزر والرقم الذي يوفر الراحة المكتبية لتشكيل معايير المعرفة.

نجدد بناء على هذا النموذج العلمي في مفهوم البراكسيس، ونرفض أن تكون هناك نظرية شاملة، للإنسان والتاريخ. وأن يكون البراكسيس مجرد تطبيق لمعرفة مكتملة ومُمتلكة بشكل تام ومسبق، بل هو مشروع، يراعي السياق الذي يطرح ضمنه، ونشاطه يستند إلى معرفة مجزأة دوما ومؤقتة. ويدعو إلى التأسيس الموازي للنظرية والتطبيق العملي، كما يشجع على التفكير في الفعل استنادًا إلى الخيال العلمي لابستمولوجيا تكاملية، تقوم على تفاعل بنيات علمية متحدة، وليست منصهرة، من أجل تحقيق عيش إنساني علمي، عقلي، واعٍ، حر، ومبدع. فيعكس طرح السؤال حول طبيعة التقليدي/ الواقعي، والافتراضي/ المؤتمت، سعينا إلى الإحاطة بجميع المكوّنات الأساس للمجتمعات، والتعمق في الجوانب الجوهرية لنمط الوجود البشري، وهي جوانب تُشكّل، في كل مرة، جزءًا اجتماعيًا وحميميًا كبيرًا من هويتنا.

تتأسس معادلات الوعي، والفكر، والخيال، والرمزي، والواقعي، والافتراضي، والمؤتمت، على "الطبيعة الإنسانية"، باعتبارها مركبًا بيولوجيًا، اجتماعيًا، وثقافيًا لا ينفصم أبدًا، فيتحدّد كلّ عنصر من عناصرها بعلاقته بالعنصرين الآخرين. وعلى هذا الأساس، تنبثق من هذه الطبيعة مختلف أشكال النشاط الإنساني، الذي يفترض الوعي بالوجود الذاتي، وبوجود الآخرين المتفاعلين معه، وبالعالم المشترك مع الجميع، دون أن ينحصر في الآلة الصماء، رغم الإمكانات العقلانية التي توفرها الروبوتية للحياة السعيدة.

وبما أن الوعي العلمي هو تفكير، فإن التفكير يتجاوز نطاق الوعي التخصصي، إذ أنّ، جزءًا من عمليات التفكير يتم بشكل لا واعٍ.، وأنّ التفكير لا يمكن أن تستوعب نشأته الخاصة لدى كلّ واحد من الناس، ممّا يجعل التصاعد المنطقي، مشتغلا بآليات الذهن المؤسس في المتخيل الكلي للحياة الطبيعية، وهي الآليات التي تمنح باقي الرموز والكيانات معنى الوجود. ويتحقق ذلك عبر انتقال معرفي توتري بين المعنى واللامعنى، ضمن الصيرورة الوجودية للطبيعة الإنسانية.

- **اتيقا مناهج المعرفة الخوارزمية:**

لطالما كان إنتاج المعرفة محصورًا في الإنسان كفاعل إبستيمولوجي قادر على بناء المفاهيم وصياغة النظريات العلميّة. لكن مع تطور الذكاء الاصطناعي، أصبح السؤال مطروحًا:هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يكون منتجًا للمعرفة وليس مجرد أداة تحليلية؟ وكيف يؤثر ذلك في مفاهيم الموضوعية والحقيقة في المجتمع الشبكي؟

تتشكل المعرفة الافتراضية ضمن فضاء يعج بالتناقضات: اللامركزية مقابل الهيمنة الخوارزمية، المشاركة المفتوحة مقابل التلاعب المعلوماتي، الذكاء الاصطناعي كأداة تحليلية مقابل كونه فاعلًا معرفيًا. هذه التناقضات ليست مشكلات عرضية، بل هي البنية الأساس التي تحدد طبيعة المعرفة الرقمية، حيث

تؤدي إلى إنتاج معرفي متغير. أما المفاهيم التقليدية مثل الموضوعية، الدقة، واليقين تتعرض لإعادة تعريف مستمرة بفعل التفاعل الجدلي بين الفاعلين الرقميين والخوارزميات.

تعتمد إمكانية تجاوز هذه التناقضات على إمكانية تطوير إبستيمولوجيا تكاملية، تستوعب هذه الصراعات بدلًا من محاولة القضاء عليها. والحل طبعا، يكون في إطار إبستيمولوجي مرن، يعترف بالطبيعة الديناميكية للمعرفة الخوارزمية، ويضع معايير لتقييمها دون الوقوع في ثنائية "اليقين المطلق مقابل النسبية المطلقة". فإذا افترضنا أن الذكاء الاصطناعي والتطورات المستقبلية قد تساهم في تقليل بعض التناقضات، مثل تحسين موثوقية المعلومات، لكنه في الوقت نفسه يولّد تناقضات جديدة مرتبطة بالتحيز الخوارزمي وهيمنة النماذج التنبؤية، وتعزيز الشفافية والمعقولية العلمية، للخروج من مشكلة "الصندوق الأسود"، فمعظم تقنيات الذكاء الاصطناعي تقدم نتائج دون تفسيرات واضحة (Leonelli, 2021). لذلك يكون تطوير إطار إبستيمولوجي مفتوح، قادر على التكيّف مع تحولات المجتمع الشبكي دون الوقوع في اختزال مفرط أو فوضى معرفية، وبدلًا من محاولة القضاء على التناقضات، يمكن الاستفادة منها كأدوات تحليلية لفهم طبيعة المعرفة الرقمية.

تنذر سوسيولوجيا الحياة الطبيعية علميّا بكون أفعالنا البشرية، تولد من رحم اللامعنى المشوّه، في أنساقنا الذهنية التي تبلورت في سيرورة فعلنا اللاواعي. فالواقع الذي نعيشه، وليد وحدة لا انفصام فيها بين مكوّنات مادية وفكرية (معرفية يمكن التأكد من صحتها أو مخيالية خالصة)، تدخل في عمليات إنتاج العلاقات بين البشر وبين الطبيعة، على مستويات عدة. لذلك، فإنه لا يمكننا، أن نقابل بشكل ميكانيكي، بين الواقع والمخيالي في فهم الذات العلمية. فالحديث عن الهوية، يعبر عن درجة من تطور الوعي أمام وقائع تاريخية، تتسم بالهيمنة وتوابعها.

مع تطور الافتراضي المُستخدم جماعيًا، يبرز الفرد من خلال مشاعره وقدراته التي تشكل هويته الخاصة. فالفرد، باعتباره نسقًا ذهنيًا يتكون عبر تحولات متعددة، يتعرض لتأثيرات متغيرات مثل الرأسمال، والنيوليبرالية، التي تعيق تربية ذكائه وإبداعه وفق طبيعته الإنسانية (O'Neil, 2016). وبدلًا من ذلك، تؤدي هذه المتغيرات إلى خلق تشوّهات سلوكية في إدراكه، مما يُغيّب تأنيس طبيعته الإنسانية. فالجنس البشري وحده هو الذي يصنع التاريخ، لأنه يساهم في حياة مجتمعية ويصارع مجاهيل الطبيعة للسيطرة عليها. وهذا الصراع يتخذ شكلين: صراع مع الذات وصراع مع الطبيعة. ومن خلال هذين الصراعين، يتحرر الكائن ويتشخصن، منتقلاً من حالة الكائن الخام (المادة الأولية) إلى كائن متحرك، واعٍ بانتمائه إلى جماعة إنسانية من الكائنات الحية العاقلة.

فالنسق الذهني، باعتباره قوة محرومة من الفعل وعنصرًا أساسيًا في التمكين التكنولوجي، يحيل إلى نفي الكائن في أي تحديد، وإلى نبذ الوحدة التي تعيق الاختلاف. إن نفي الوجود أو الكائن يعني تعبئته بشخصيات متعددة ومتحولة، يُشكِّل مجموعها الشخص. والشخص، هو البعد الثاني المفتقد في ماهية الحياة الإنسانية، فهو بحث عن شخصية تتقمص الذات في مشروعها الشخصي، ويعني أنه يتحقق كلما ابتعد عن الكينونة الساكنة لينغمس في دوامة التطور والتعدد.

وبذلك، يظهر أنها تمثل الهدف النهائي الذي يجب أن تبلغه الحياة المشتركة مع الآلة الخوارزمية، ليس بوصفها عملية توفيق بين الكائن والشخص، لأنّ القيمة ليست وجود متعالي قد يكون مشروط بالعدم الذي تحتويه داخلها. فالأنا محاطة بمشروع ذاتي، يجد عناصر انسجام في التعدد مع الوجود الحي، للطبيعة الناطقة في المشاريع الذاتية الأخرى. لكن في غياب التحقق الفاعل، وعند الانفصال عن الهوية التي تبعث من الرموز الأولية للمشروع، على الواقع القبول بتشوهات غير أمنة.

- **الذهن ومنطق الاكتشاف العلمي:**

يتمثّل الاستدلال الذي منشئه الذهن في الربط الدائم، بين النظر والعمل، وبين الفكر والفعل والبحث الدائم بواسطة العلم عن الحرية، في مجال الفكر، وعن استقلالية الذات على الصعيد الفردي، ودفاع السياسة المتبصرة على هذه الاستقلالية على الصعيد الاجتماعي، بالعمل على بناء مجتمع، يتكون من مجموعة من الأفراد الأحرار الذين يسيرون أنفسهم بأنفسهم، بطريقة ديمقراطية نابعة من متخيلهم الأصلي وجامعة بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة. الاستدلال، عبارة عن اختصارات عقلية، نستخدمها لتبسيط حل المشكلات المعرفية المعقدة، إنها قواعد غير واعية، لإعادة صياغة المشاكل، وتحويلها إلى عمليات أكثر بساطة وتلقائية (هوسرل، 2008).

وتنشأ من داخل هذه الجدلية مادية ورمزية، زمكانية، يحتاجها المجتمع، للتوفر على معقولية ومنطق معينين ولا يحتاج إلى العلوم والنظريات والتصورات فحسب، بل يحتاج إلى دلالات وقيم، تسمح بالحلم وتخيل لمجتمع أفضل. وبذلك، يكون الخيال العلمي موضوعا علميا، وحماية ضد الاحتلال الجديد للعقل من طرف النيوليبرالية الجديدة، ويكون العقل العلمي كيانا إنسانيا حاملا لإبداعات حرة، واليوتوبيا هي طاقة تغييرية هائلة.

ثمَّة مفارقة تتعلق بالفرد، فيجده يطمئنّ إلى الجماعة التي ينتمي إليها ويفضل التقوقع ضمن الحشد، مدفوعًا بمبدأ الهوية. كما يكون الفرد قادرًا على تحقيق الاستقلالية والتمرد عبر الخيال المفكر، الذي يعزز التصعيد والمساءلة ضد منطق الرقمية والأتمتة المحكومة بالاستعمار الليبرالي الجديد، والذي ينتقل من احتلال الحيز المكاني إلى اختلاق الطاقة العقلية للكيان البشري، ويؤدي إلى إعادة بناء الهوية بشكل انفتاحي، يستفيد من التفاعل مع الآخر.

فإذا كانت المعقولية الرأسمالية، معقولية جافة واستهلاكية وحسابية، سببت أزمة المعنى، وأشاعت قيم مادية، وساهمت في إنتاج مخيلة عقيمة وتماثلية ذررت الأفراد وأضرت بالبيئة وشوهت الديمقراطية، فإن تجاوزها يشترط إنتاج معقولية جديدة، أكثر انفتاحا وقادرة على إبداع مؤسسات سياسية جديدة، يمسك فيها المثقفون صناعة القرار وزمام المبادرة (Gleick, 1987). ويبدأ التغيير من خلال إبداع تخيلي جديد ينتج بمقتضاه مجتمع ما دلالات ومقاصد ومشاريع مغايرة للأنماط والرؤى القديمة تعيد تنظيم العمل والسياسة والاقتصاد، بشكل يسمح بتفجير الطاقات الإبداعية للأفراد وهو ما يساعد على ميلاد ديمقراطية تشاركية تعمل على تثقيف الرأي العام وتمزج بين التربية كسياسة للأفراد والسياسة كتربية للجماعات.

إن تصوُّر الأتمتة بوصفها المرحلة الأعلى من التقدم العلمي هو حافز معرفي للمجتمع العلمي، باعتبارها تمنح محفزات معرفية لوحدة العلوم الإنسانية والتجريبية في مركب العلوم المعرفية. وتساعد على تكاملية معرفية لسوسيولوجيا مع العلوم في وحدة المعرفة المتكاملة، تساعد في تجاوز أزمة المنهج والموضوع. وذلك وفق، شرط معرفي يتقن من خلاله الذكاء الطبيعي تحرير فاعلية في تجاوز أزمة المعرفة بخلق نهايات مغلقة ونهائية لدوائر المعرفة العلمية. ولا يتم هذا التحرر، إلا بالتكامل بين منطق الذكاء الطبيعي ومنطق الذكاء الاصطناعي، عبر إيجاد إطار ابستمولوجي افتراضي، يسارع في معدلات التكامل بين الذكاءين، فيعمل الذكاء الاصطناعي باعتباره أداة تعزز القدرات البشرية دون أن تحل محلها. ويمكن لهذا التكامل أن يعزز الإبداع والبحث العلمي، حيث يساعد الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات بينما يحتفظ العقل البشري بقدرته على التفسير والتأويل النقدي (هوسرل، مرجع سابق).

5- خاتمة:

على خلفية استفهام مشروع، كيف تعمل بنية علمية من الخروج من أزمة العقل العلمي إلى الفاعلية الناطقة للابستمولوجيا الافتراضية، وتكسير بداهات القواعد المتحكمة في الإنتاج العلمي الكلاسيكي؟ يمكن استنباط إطار سوسيولوجي لنموذج المعرفية في المجتمع الشبكي، وذلك عبر ميثودولوجيته ومعادلته المعرفية.

ففي مستوى ميثودولوجيا الذكاء الاصطناعي وضمن نقاش معرفي متنامٍ بالحقول العلمية حول تغير البنيات المعرفية المشكلة للوعي النظري، يطرح سؤال البديل المنهجي في فهم هذه التحولات، وشكل الذات التي يراهن عليها السوسيولوجي في فهم وتفسير المعيش اليومي. و لا شك أن هناك عسرًا عند المثقف كما هو عند السياسي في بناء نموذج علمي متين يتكشف من قيام شروط معرفية لمجتمعات شبكية لا تلبث أن ينمحي تقعيدها الشبكي لصالح الوترية الفائقة لتدفق الربوتية الذكية، والمتحكم في إنتاجها بواسطة الخوارزمية المرتكزة على منطق الأتمتة الشمولية.

لذلك، تقترح هذه الدراسة الاستفادة من منهجية العقل الاجتماعي المتكامل مع العلوم المعرفية وقواعد اشتغالها ومهاراتها المجربة في تحليل الظواهر داخل الذهن والتعاطي مع المستجدات الحضارية والقضايا الطارئة، والفهم لأوليات النسق الذهني في تأويلية الوقائع الاجتماعية؛ تأويلا بتملكه لدى الذات الباحثة في العلوم الاجتماعية، لتتبصر فهمًا وتفسيرًا لماهية الكمومية الاجتماعية، وتستطيع ابتكار عدة منهجية نابعة من ذواتنا المتكلمة ببيبلوغرافيا إبداعية وحرة لعقلنا البشري، ولا يمارس عليها أي إكراه معرفي خارجي لشكل النظرية التي تشخص واقعنا الاجتماعي، مادامت النظرية التخصصية في طور الانقراض.

أمّا في مستوى المعادلة المعرفية لتغير الخوارزمي فتستمر التطبيقات الخوارزمية في تسخير الأجساد والأرواح لزيادة الإنتاج وتعظيم الثروة، نظرا لامتلاك الأتمتة القدرة على طي المسافات، واختزال الزمن، وإعادة تشكيل البحث العلمي المحمول في القضايا الإبستمية؛ حيث يعمل التسارع، بوصفه مفهوما معياريا، على إثبات فرضية انتهاء حقبة الاجتماعي المفرط وبروز حقبة الافتراضي المفرط. ويتحرك هذا المفهوم داخل دائرة التجربة الإنسانية التي تتموضع بين مقدسين: النظرية العقلانية والتجربة الوثوقية،

وتترجم هذه القداسة من خلال الوعي بالعناصر المختلفة لإنتاج العلمية التي يقع من خلالها استثمار هذه العناصر اجتماعيا في شكل الأدوار والوظائف والتفاعلات التي أزاحت الاجتماعي عن موقعه وأحلت ما يسمى بالافتراضي الذي لم فرضية صفرية أو فرضية معدومة، (Nul Hypothèses) في سيرورة إنتاج المعرفة وإعادة إنتاج المعرفة افتراضيا.

لذلك، فإن استنبات بيبلوغرافيا بالمعادلة المعرفية للتغير الخوارزمي ينتهي بكون الذهن كموضوع للعلم، يؤدي إلى استنبات فهم معرفي بالنظرية المؤتمتة، بوصفها نسقا ذهنيا مبدعا ومستداما غير متخلف، والذات هي شخص حامل لمشروع التحرر من الكائن إلى الذات الفاعلة، التي تتماسك بقوة الوعي والفكر كعمليات إنتاجية للمتخيل الاجتماعي. ومع ذلك، فهناك عوائق تحول دون تحقق هذا المشروع الشخصي في الواقع المتعين، لكن إن تمسك الافتراضي بالمقدمات الذهنية للعقل الاجتماعي أمكنه حل معضلات في الكمومية الاجتماعية التي ينتهي بها التجديد المعرفي في عصر الأتمتة.

6- المراجع:

1- جين، نيكولاس وآخرون. (2017). **مستقبل النظرية الاجتماعية**. ترجمة يسري عبد الحميد رسلان. القاهرة: المركز القومي للترجمة، القاهرة.

2- علي محمد رحومة، علم الاجتماع الآلي. (2008). عالم المعرفة العدد 347، الكويت.

3- فيبر، ماكس. (2011). **العلم والسياسة بوصفهما حرفة**. ترجمة جورج كتورة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

4- هوسرل، إدموند. (2008). **أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية**. ترجمة إسماعيل المصدق. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

5- هايدغر، مارتن. (2012). **الكينونة والزمان**. ترجمة فتحي المسكيني. مراجعة إسماعيل المصدق. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

6- Castells, M. (2004). *The network society: A cross-cultural perspective*. Edward Elgar Publishing. Northampton, MA.

7- Floridi, L. (2014). *The Fourth Revolution: How the Infosphere is reshaping human reality*. Oxford University Press. Oxford, UK.

8- Gleick, J. (1987). *Chaos: Making a new science* (1st ed.). Viking Penguin. New York.

9- Leonelli, S. (Ed.). (2021). *Data journeys in the sciences*. Springer. Cham, Switzerland.

10- Lupton, D. (2016). *The Quantified Self: A sociology of self-tracking*. Polity Press. Cambridge, UK.

11- O'Neil, C. (2016). *Weapons of math destruction: How big data increases inequality and threatens democracy*. Crown Publishing Group. New York.

12- Rosa, H. (2010). *Accélération: Une critique sociale du temps* (D. Renault, Trans.). La Découverte. Paris.

13- Rosa, H. (2012). *Aliénation et accélération: Vers une théorie critique de la modernité tardive* (T. Chaumont, Trans.). La Découverte.Paris.

14- Rosa, H. (2018). *Résonance: Une sociologie de la relation au monde* (S. Zilberfarb, Trans.). La Découverte. Paris.

15- Rosa, H. (2020). Rendre le monde indisponible (O. Mannoni, Trans.). Éditions La Découverte. Paris.

16- Touraine, A. (2004). *Un nouveau paradigme : pour comprendre le monde d'aujourd'hui*. Éditions Fayard. Paris.

17- Virilio, P. (1977). *Vitesse et politique: Essai de Dromologie*. Galilée. Paris.